البناء الفني في شعر ابن النقيب الفقيسي (ت٦٨٧هـ)

ا.م.د. هشام نهاد شهاب
الباحثة. سرى حسن محمود أحمد
الجامعة العراقية / كلية الاداب

The Artistic Structure of Ibn AL-Naqeeb AL-Faqeesi Poetry (d. 687 A.H.)

Asst. Prof. Hisham Nihad Shihab (Ph.D)
Researcher Sura Hasan Mahmoud Ahmed
AL-Iraqia University-College of Arts

المستخلص

يهدف هذا البحث (البناء الفني في شعر ابن النقيب الفقيسي ت (٦٨٧ه)) إلى دراسة بنية النص الشعري في ديوان الفقيسي من خلال تحليل النصوص الشعرية والكشف عن كوامن النص الشعري وما يختلج في نفس الشاعر، ودراسة مقدمات نصوصه الشعرية وكيف يستهل قصائده ومقطعاته ودراسة مقطعاته الشعرية، وكذلك دراسة طول النص وقصره وميله إلى نظم المقطعات الشعرية أكثر نظمه القصائد، ودراسة الوحدة الموضوعية فنجدها حاضرة في بعض نصوصه الشعرية، وانعدامها في بعضها الآخر.
الكلمات المفتاحية: البناء الفني والشعر ابن النقيب الفقيسي

Abstract

This research (The Artistic Structure in the Poetry of Ibn Al-Naqeeb Al-Faqisi (687 AH)) aims to study the structure of the poetic text in Diwan Al-Faqisi by analyzing the poetic texts, revealing the potential of the poetic text and what stirs in the poet's soul, and studying the premises of his poetic texts and how he begins his poems and passages and studying its passages Poetics, as well as the study of the length and shortness of the text and its tendency to the systems of poetic syllables more than its tendency to the systems of poems, and the study of the objective unity, we find it present in some of his poetic texts, and its absence in others.

Keywords: Artistic Structure, Poetry and Ibn ALNaqeeb AL-Faqeesi

المقدمة

يتطرق هذا البحث إلى دراسة البناء الفني في شعر أحد شعراء العصر الوسيط وهو (ابن النقيب الفقيسي ت ٦٨٧ه) المصري الأصل، وهو من شعراء الدولتين الأيوبية والمملوكية، والذي لم يحظ بالدراسة والإهتمام، فدرست في هذا البحث بنية النص الشعري في ديوان الفقيسي من مقدمة نصوصه الشعرية كيف كان يستهلها وابتعادة عن المقدمات الطللية للقصيدة، وكذلك دراسة خواتيمه الشعرية، ودراسة طول نصوصه الشعرية وقصرها، وميله إلى نظم المقطعات الشعرية أكثر من نظمه القصائد، ودراسة الوحدة الموضوعية في شعره.

البنـــــاء الفنـــــي

البنية لغة: البناء: نقيض الهدم والبناء المبني والجمع أبنية، والبنية بكسر الباء وضمها ما بنيته وهو المبني بكسر الباء وضمها والبنية: الهيئة التي يبنى عليها.(١)
وبِنية القصيدة في الاصطلاح الأدبي تطلق على بناء الشعر وطريقة تركيبه وصياغته.(٢)

وقد عرف يوسف حسين بكار البناء: على أنه مجموعة من العناصر والقوى التي تتظاهر في النص على نحو يتم فيه تكامل المعاني الشعرية المتبلورة في حقائق لغوية فالعالم الذي تتألف منه القصيدة عالمٌ متجانس تتلاقى أفكاره وتتعاقب في حركة مطردة. (٣)

وقد تنبه النقاد العرب القدامى لهذه المسألة وأن لم تنفرد عندهم بمصطلح نقدي فعبد القاهر الجرجاني هو أول من أدرك أن النص ليس مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات وعلى هذا الأساس تبدو فكرة النظم عنده بنائية؛ ذلك أن الألفاظ لا تؤدي معناها في النص مجردة بل مرتبطة بمجموعة من الألفاظ. (٤)

وتكشف دراسة البنية عن جماليات النص الشعري من خلال اكتناه المواطن الشعرية فيه، حيث تحقق البنية شعريتها عن طريق ما تبسطه من خصوصيه داخلية

تتجلى في تلاحم عناصرها الدلالية والايقاعية، فالبنية تمتلك طاقة تفسيرية للموضوع المعطى، وتتيح لنا أن نفهم شمولية الظاهرة الابداعية التي يعبر عنها وبها الشاعر؛ لأنها تلعب دوراً رئيساً في المعالجة الإدراكية للنص الشعري. (٥)

بنية القصيدة

أولاً: المقدمة

أولى النقاد اهتماماً كبيراً بمقدمات القصائد لأنها؛ أول ما يطرق الأسماع ويثير انتباه السامع فكانوا يقولون ((احسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فأنهن دلائل البيان)).(٦)

فأن المقدمة أول ما يقع في السمع من الكلام، والخاتمة آخر ما يبقى في النفس، فينبغي أن يكونا مونقين. (٧)

قال ابن رشيق: ((فأن الشعر قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجوِّد ابتداء شعره؛ فأنه أول ما يقرعُ السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة)).(٨)

يقول حازم القرطاجني: ((ومما تحسن به المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه)).(٩)

ويرى أبو هلال العسكري: ((إن الابتداء إذا كان حسناً بديعاً مليحاً ورشيقاً؛ كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام، ولهذا المعنى يقول (جل جلاله): " ألم " و "حم" و "طسم" و"كهيعص" فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده؛ ولهذا

جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله لأن النفوس تتشوق بالثناء على الله فهو داعية إلى الاستماع.(١٠)

أما النقاد المحدثون فلم يغفلوا عن دراسة مقدمات القصائد فمنهم من يرى أن مطلع القصيدة هو مفتاحها، أنى وقع المطلع في يد الشاعر هان نظم القصيدة ومنهم من يرى أن مطلع القصيدة ليس شرطاً أول ما ينظم، فقد ينظم الشاعر أكثر أبيات القصيدة قبل المطلع. (١١)

وإذا ما أردنا الحديث عن شاعرنا ابن النقيب الفقيسي فإننا نجده لم يقف على الديار ويبكي الأطلال، إنما نجد مقدماته عبارة عن صورة مجازية أو حقيقية مستمدة من واقعه الذي يعيشه، وصورة عن حياته فلم يلتزم بالمقدمة سواء كانت مديحاً صرفاً لا يرتبط بحادثة من الحوادث أو كانت في حادثة فتح أو هزيمة أو غير ذلك، فهو في كلا الحالتين أعرض عن المقدمة ولا يقتصر هذا على غرض المديح فحسب بل في أغراضه جميعها فيعرض عن المقدمة سواء طالت نصوصه

أم قصرت حتى في قصائده الطوال، وكذلك أعرض عن المقدمات سواء كانت هجاءً أم رثاءً أم شكوى أم وصف المعارك أم وصف الطبيعة أم غزلاً أم غير ذلك.

هذا ما نجده في مقدمات قصائده الطوال وخاصة في المديح، فهو عندما يمدح يبدأ بسرد صفات ممدوحيه، وإعلاء شأنهم وتعظيمهم، والابتهاج بانتصاراتهم ومواقفهم كعادة الشعراء القدماء ألا إنه لم يبدأ قصيدته بمقدمات طللية أو غزلية إنما يباشر، كتابة قصيدته أو مقطوعته دون المقدمة ففي أطول قصيدة له يمدح فيها الملك قلاوون في انتصاره على المغول سنة (٦٨٠ه)، والتي تقع في سبعين بيتاً جاءت خالية من المقدمة يقول في مقدمتها: (١٢)(الطويل)

هِيَ النِّعمةِ العُظْمِى، هِيَ النّصرةُ الكُبرَى هِيَ اللفظُ والمعنى، هِيَ البِشْرُ والبشرى

هي المطلبُ الاسنى، هي المنـــحةُ التـــي لَقدْ شَرُفتْ قَدراً، وقـــد عَظُمَـــتْ ذِكـــرَا

هي الوقعـــةُ الصَّـــمَّاءُ والحطمـــةُ التـــي بها انكسَرَ الكُفرُ الذي لـــم يَجِـــدْ جَبـْـــرَا

هي الفتْـــــكُ بالأعـــــداءِ والظَّفــــرُ الـــــذي شَفَى القلبَ من أَبْغَا، وقَد أثْلَجَ الصَّـــــدْرَا

فيبدأ قصيدته بتمجيد وتعظيم انتصارات الملك قلاوون وأن انتصاره هو النصر الأكبر والبشرى المنتظرة.

كذلك هي الحال في قصيدته يهنىء الظاهر بيبرس بعد وقعة الفرات، فقد جاءت خالية من المقدمة يقول في مقدمتها: (١٣) (الوافر)

نَهضتَ لها ولم تَخْشَ العِثَارا وَلا خِـفتَ الثلوجَ ولا القِطارا

وَلا رِيحاً يَكُونُ بِأرضِ حِمْصٍ وَلا بَرداً يَكُونُ بِأرضِ قَـــــارَا

وَواصَلْتُ السُّرَى بِالسَّيْرِ حَتَّى قَطَعتَ لَهَا المَفَاوِزَ والقفـــــارَا

وقوله في قصيدة اعتذارية قصيرة نجدها خالية من المقدمة إنما يباشر اعتذاره في مقدمتها:(١٤) (الطويل)

عَسَى المُعْرِضُ الغضبانُ يَرضَى وَيَقْبَلُ ويحسنُ مِن بَعْدِ الصُّدودِ تَجَمُّلُ

ومــــا أَنَــــا إلا طــــامِــــعٌ فــــي جَمِيْلِــــهِ وَلــــيْ أمَــــلٌ فيــــهِ بــــهِ أتَعَــــلَّلُ

أما قصيدته للأمير حسام الدين طرنطاي، نائب السلطة، تخلو من المقدمة يقول معاتباً فيها ويصور فيها الآمه وما عاناه من الأسى والحسرة ويصور انكسار نفسه ويشكو حاله وحال جنود معه أنهم بعد أن أصبحوا مسنين لا حاجة لهم ولا فائدة منهم، وإنهم لم يكونوا في الحسبان يوما ومدى تأثير هذا الموقف على نفسيته وينعكس ذلك على ألفاظه وعباراته في قصيدته وخاصة في مقدمة القصيدة فهي تعكس حالة الشاعر ونفسيته وأن جواً من الحزن الشديد والألم يسيطران عليه بعد أن تغيرت مكانته من حال إلى أخرى: (١٥)(الخفيف)

نحنُ إلّا قَطاعةُ الأَجنَـــــــادِ وَبُراواتُ غُرِّ هذا النَّادِي
نَحنُ إلا حِكَـــــــــايَةٌ وخَيَالٌ وحَدِيثٌ لِحَاضِرٍ ولِبَادِي
نحـــــــــــــــــــــــنُ غسَّـــــالةٌ لِمرقــدَا رِ قُدورٍ تَفَرَّغَتْ وزَبَـــادِي.

أما المقطعات الشعرية عنده كذلك هي الأخرى تخلو من المقدمات حيث كانت تعبر عن حالة شعورية مباشرة دون أن يكد ذهنه أو يفكر طويلا وقد جاءت مقطعاته عفويه الخاطر، وليدة اللحظة يرتجلها ارتجالاً، وجاءت العديد من مقطعاته يصور فيها حاله من شكوى أو ألم أو شوق أو فراق أو غير ذلك، ففي مقطعة له تتألف من خمسة أبيات يقول فيها: [١٦](مجزوء الرمل)

لستُ في التَّجريدِ مُحتَا جاً لِمَنْ يخدمُ عِندِي
أنـــــــا مُـــــهتـــــــــــــارٌ وحَمَّـــــــــــــــــــــــــــا
لٌ وفَـــــــرَّاشٌ وجُنـــــــــــــــــدِي.

فيصف حاله أنه كيف يخدم نفسه وأنه أحد غلمان البيوت السلطانية، ولا يحتاج إلى أجير فيعكس في هذه المقطعة كيف تبدو حياته بسيطة بمقدمة سلسة الألفاظ معبراً عن حاله ويباشر موضوع قصيدته دون أي مقدمات، وينقل لنا تجربته ويصورها لنا من دون تفكير وتعمق فينظم شعره على سجيته ويختار ألفاظه بعناية، ونجده كذلك في موضع آخر يقول في مقطعة يصف حاله فيها:[١٧] (السريع)

لا تَسْأَلَنْ عَن حَالِ شَوقِي، فَقَدْ حُمِّلَ فـــــوقَ الطَّـــــوقِ والوسْـــــــــــــــــــــــــــعِ
وإنْ يَكُـــــــــــــــــــــــنْ بينَهُمَـــــــــــــــــــــــا ناقِـــــــــــــــــــــــلٌ فاسْتَقْصِ عنْ طَرفِي وعنْ دَمْعِي.

ومن مقطعاته الشعرية الغزلية يصف فراق محبوبته وابتعادهما وكيف صدت عنه فيصور لنا حاله بعد فراقها ويفتتح مقطعته بألفاظ تسيل عذوبة ورقة ونعومة في

وضوح معانيها وسهولتها وجمالها فيصور حاله، فهو متيم محروم يشكو قسوة المحبوب وكيف غيره الواشون:[١٨] (الكامل)

صَدَّتْ وَعَلَّمَتْ الصُّـــــدودَ خيالها فَحُرِمتُ حتى في المنـــــامِ خيالها

مـــــازالَ واشِيْهَــا بِــزُوْرِ حَــديثِـــهِ

فَاصَدَّها عن عَهْدِهَـــــــــا وأَحَالَـــــــهَـــــــــــــــــا

وَسَعَى فَغَيَّرَهَا، وغيّرَ في الهَوى أَخْلاقَهَا وطِبَاعَـــــــهَـــــــــــــــــا

وَخِلَالَـــــهَـــــــــــــــــا.

ومن هذه النصوص الشعرية قصيدة قصيرة في مدح الرسول (ﷺ) يقول في مقدمتها:[١٩](البسيط)

يا مادحينَ رسُـــــولَ اللهِ حَسْـــــــــــــــــــــــــبُكُمُ تَكرِيرُ مَدْحٍ

وتعظيـــــــــــــمٌ وتطويلُ

فقد وَجدتُمْ مَكَانَ القَولِ ذا سعةٍ فَإنْ وَجَدتُمْ لِسَانَاً قَائِلاً قُولُـــــــــــــــــوا.

يحث المادحين والذاكرين أن يكثروا من مديحهم وثنائهم على نبينا الحبيب (ﷺ) فإن المديح لا يفي حقه، وعلى المادحين له أن يتفننوا في أفكارهم في مدحه والثناء عليه.

أما قصيدته في رثاء الملك الصالح بيبرس نجده يقول في مطلعها:[٢٠](الكامل)

لِلأَرضِ بعـــــدَكَ رَجَّـــــــــــــــــــــــةٌ وتزلزلُ لَمْ يســـتقرُّ بِمَن عليها

مَنْزِلُ.

والخلقُ بعدكَ في صَعِيدٍ واحدٍ جُمِعُوا، وكُلٌّ ذاهلٌ لايعقِلُ.

فهو هنا يبدأ قصيدته بمقدمة جميلة يصف حال الناس بعد موت المرثي ويصور حالهم، فمن شدة الحزن أن للأرض رجة وتزلزل، ونفور الناس من مساكنهم وتجمعهم حوله وهم في ذهول وحزن.

ويبدو إن ابن النقيب الفقيسي اختفت عنده كثير من الملامح السابقة في مقدمات قصائده ومطالعها، فنجده أحيانا قد يهمل مطالع نصوصه الشعرية ويبدؤها بالتدوير فتفقد بريقها وأبهتها حتى تصبح كسائر أجزاء النص.

ومن ذلك قوله: [٢١](مجزوء الكامل)

دَاوَيتُـــــــــــــــــــــهُ بِلَطِـــيـــــــــــــــــفِ عَيْـــــــــ

ـــــــبٍ فيـــــهِ لِـــــي، ولهُ شِـــفَاءُ.

ومن مقطعاته التي يبدؤها بالتدوير ما يفقدها جمالها وعذوبتها يقول فيها :[٢٢](مجزوء الرمل)

لِـــيَ، جـــــارٌ شَخصُـــــهُ إكْـــــــ سِـــــيْرُ أوْصَـــافِ المَعَـــــــايبْ

وكذلك نجد التدوير في قصيدة كتبها إلى السراج الوراق ويبقى التدوير فيها إلى آخر القصيدة يقول: [٢٣](مجزوء الرجز)

يَامَـــنْ تَشَـــــكّي رَمَـــــــــــــــــدا لا امْتَـــــدَّ لِلشَّـــــكوى

مَـــــدَى

واللهِ يَكفِـــــــي عينَـــكَ الـــ ـــعَينَ وأسبـــــــابَ

الـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرَّدَى

فإنَّـــها عيـــــنُ السِّـــــــــــــــــــــــــرا جِ، لا انْطفَـــا عَنِ

الهُـــــــــــــدَى.

ونلاحظ كذلك الكثير من مطالع قصائده ومقطعاته الشعرية تتصدرها أداة النداء كما في قوله:[٢٤](السريع)

يا سَاكِنِي جَلَّقَ أشكو لَكُمْ مِنْ قاســيونَ بَعضَ مَا عِنْدِي

كذلك قوله : [٢٥] (الكامل)

يا ناظرِي ما قُلْتُ، إنَّك هكَذا عَوْناً عليَّ ، وأنْتَ مِنْ أَعضَائِي.

يتكلم الشاعر في هذه المقطعة عن صبغة اللحية وهو يعرف انها ذنب إلا انه لا يستطيع ترك ذلك

وقول الشاعر:[٢٦](المتقارب)

شَـــــــــــــــــــــــــــــــــربتُ الدَّواءَ، ولكِنَّنِي جَرَيتُ على رغْمِ أنفِ الحكِيْمِ

بعد ان أشار أحد المنجمين إلى ابن النقيب أن لا يشرب الدواء فشربه رغم أنفه فجرى بعد شربه ولم يحصل له سوء.

وقد تكون مطالع نصوصه الشعرية استفهام تقريري ليشارك المتلقي تجربته الشعرية، ومن ذلك قوله كتب إلى بدر الدين الحمداني:[٢٧] (الطويل)

أ يُوسف بَدْرَ الدِّين والحُسْن كُلُّهُ لِيُوسُفَ يُعزَى أو إلى البدرِ يُنْسَبُ؟

فكتب إلى (بدر الدين) أبياتا يمدحه فيها ويبتدأ مقطعته بالاستفهام ليكون لنا صورة أكثر جمالا مما لو جاء بغير الاستفهام.

ولا نجد في مطالع نصوصه الشعرية تميزاً إلا ما ندر في قصائده المدحية، فنلاحظ في شعره لا فرق بين المطلع وسائر أبيات النص، فهو لا يهتم لجمالية المطلع، ولاسيما في مقطعاته الشعرية ربما لأنه كان يكتبها على البديهة حسب ما تقتضيه التجربة الشعرية وما يتطلبه الموقف، أو ربما كان للارتجال في بعض مقطعاته الشعرية دور كبير في ضعف مطالع نصوصه فكثير منها لا نجد لها ميزة فنية.

ثانياً: الخاتمة

اهتم النقاد القدماء بخاتمة النص، ودعوا إلى العناية بها لأنها: ((قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الاسماع، وسبيله أن يكون محكماً: لا يمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه)).[٢٨]

((ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها راغبة مشتهية، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة)).[٢٩]

ووضع النقاد شروطاً واعتبارات للخاتمة الجيدة وهو أن يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه، سارا في المديح وحزيناً في الرثاء والتعازي، بالإضافة إلى أن يكون اللفظ مستعذباً والتأليف جزلاً متناسباً. (٣٠)

كما ينبغي أن يكون آخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها، وان تتضمن خاتمة القصيدة كلمة أو مثلاً سائراً؛ لان الأمثال أحب الى النفوس لحاجتها إليها عند المحاضرة والمجالسة، أو أن يكون تشبيهاً حسناً.(٣١)

وإذا كان النقاد المعاصرون يرون ان الشاعر لم يَعُد مطالباً بتلك الخواتيم التي حددها القدماء متضمنه أمثالاً وحكماً وتشابيه جميلة رائعة، فإنهم يتفقون مع السابقين في المعيار الأول، وهو أن تكون الخاتمة قراراً للقصيدة، معللين ذلك بأن القصيدة ليست إلا تجربة تنتهي بنهايتها.(٣٢)

في حين يرى الدكتور (مصطفى سويف): إن للعامل النفسي دور كبير وراء إبداع الخاتمة.(٣٣)

وتعددت مصطلحات خواتيم القصائد وأهمها: (المقطع، والانتهاء، والختام أو حسن الخاتمة، والاختتام). (٣٤)

وباستقراء خواتيم النصوص الشعرية لدى ابن النقيب الفقيسي نلاحظ ما يأتي:

١- **جعل الخاتمة قفلاً لنصوصه:**

لا نكاد نجد لابن النقيب الفقيسي قصيدة او مقطعة شعرية قصَّرت خاتمتها عن مهمة إنهاء النص، حيث جعل خاتمة نصوصه لا مجال للزيادة عليها، وارتباطها الوثيق ببداية النص.

يقول في ختام قصيدة قصيرة له:(٣٥)(الكامل)

وأعِيدُ ذاكَ مُكَـــــــــــــرَّراً

ومُـــــــــــــــــــــــــــرَدِّداً مُستحسِناً فِي

مِثلِـــــــــــــــهِ إيطائِي

ولَقد أخافُ الهَمــزَ فِي وَصــلِي لهم فأمِيلُ لِلإدغـــــــــامِ
وَالإِخـــــفـــــــــاءِ

يبدأ الشاعر قصيدته بالخوف من الوشاة والرقباء على محبوبته وكيف انه يخاف ان يذكر اسمها فنجده يربط الخاتمة ببداية النص، وكيف جعل الخاتمة قفلاً محكماً للقصيدة أتم بها المعنى ولا يمكن الزيادة عليها.

كذلك مقطعته التي كتبها الى (بدر الدين يوسف الحمداني) يقول فيها: [٣٦](الطويل)

أ يُوسف بَدرَ الدِّين والحُســـــن كُلُّهُ لِيُوسُفَ يُعزَى أو إلى البدرِ يُنسَبُ؟
أَتــيــتَ أخــيراً ، غــيــــر أنـــــــــــــكَ أوَّلُ تُعُدُّ من
الآحـــــــــاد شِـــعـــــــــراً وَتَحسَـــــــبُ
وأحسنُ ما في شِعرِكَ الحُـــرِّ أَنَّهُ بـــهَ ليـسَ تستجـــــــــــدي
ولا تَتكَسَّـــــــــــــبُ

أجاد الشاعر في جعل الخاتمة مكملة لمقطعته حيث أكمل بها ما بدأه في أول بيت، ومع قصر مقطعته إلا انه استطاع أن يبدأ بمطلع استفهامي رائع وينهي مقطعته بخاتمة أروع عند السكوت عليها يكتمل معنى النص ولا يحتاج الاستزادة عليه، فجاءت خاتمته مكملة لأوصاف الممدوح.

ومن مقطعاته التي يجعل خاتمتها جواباً لمطلعها يقول فيها: [٣٧](الوافر)

وَقَــالوا : رِجلُــهُ مُنِيَت بِوَهْــــــــــنٍ وقَاسَـــــى
مِنـــــــــــهُ آلآمـــــــــاً شَـــــــــــــديدَهْ
فَقُلْتُ وَهَلْ مَشَى مَرَحَاً فَزَلَّتْ بِـــــــــــــــــهِ
قَـــــــــــــدَمٌ مـــرَامِيـــهَـــــــــــــا
بَعِيـــــــــــــــــدَهْ
وَكيفَ، ومَا سَـــــعَتْ إلَّا لِخَيرٍ وَلا سَلَكَت سِـــــــــوَى الطُّرقِ الحَمِيدَهْ

جاءت الخاتمة كافية شافية لتزيل كل الشكوك والأوهام التي جاءت بمطلع القصيدة أي إن قدمه لم تسعَ إلا لفعل الخير ولم تسلك إلا الطرق الحميدة، فجاء بالخاتمة

جواباً للمطلع ونفي الشكوك وعدم خروجه عن الموضوع مع جودة الصياغة باستعماله لأسلوب الحوار الداخلي، والاستفهام، والاقتباس غير المباشر من القران الكريم كل هذه الأساليب وظفها في هذه المقطعة القصيرة.

ولابن النقيب قصيدة كتبها يعتذر فيها الى (مظفر الدين الذهبي) بدأها بسرد ما حال بينه وبين صاحبه وعدم مقدرته من رؤيته، ووصف ما حل به بعد ما حصل تدافع وزحام في السوق في يوم ممطر وذكر الأسباب التي منعته من رؤيته وتأخره عنه، وبيّن كيف سقط الأطفال، وذهول الأمهات والصراخ فيبدأ قصيدته بذكر أسباب تأخره، ووصف حاله إلا أن يطلب العذر والسماح في آخر بيت في القصيدة بعد أن يمهد ببيت قبل الاعتذار يقول فيه : [٣٨] (الخفيف)

ما الذِي عِندَه تُدَار المنايَا كَالّذي عِندَهُ تُدَارُ الشمُولُ

ثم يختمها بقوله: [٣٩](الخفيف)

فَلَكَ العذرُ أَيُّها الخِلُّ إِنْ لَم آتِ، أوْ يأتِ مِنْ جِهاتِي رَسُولُ

والمتمعن في ديوان ابن النقيب الفقيسي يجد أكثر خواتيم نصوصه الشعرية جاءت أما مرتبطة بالمطلع وكثير ما يبني قصيدته أو مقطعته عليها، وأكثر خواتيمه جاءت قفلاً محكماً للقصيدة ولا مجال للزيادة عليها ونلاحظ أن النصوص الشعرية في ديوانه سواء طالت أم قصرت قوية كانت أم ركيكة لم يأتي بخاتمة غير متممة للمعنى.

٢-الخاتمة الاستفهامية:

يختم الكثير من قصائده في الاستفهام أكثر منها في المطالع ليجعل من ذلك بعداً نفسيا للمتلقي بعد انتهاء النص الشعري ليشارك القارئ في تجربته الشعرية.

قوله في احدى قصائده القصيرة: [٤٠](الوافر)

فَبَرقُكَ في يَدِي يَكفِيكَ سُقْماً وَهَلْ يُحْيِيْكَ إِلاَّ مَنْ أَمَاتَكْ؟

فقد اضاف هذا النوع من الخواتيم جمالاً للنص فهو لا ينتظر الاجابة من المخاطب بل ينتزعها انتزاعا يؤكد بها تجربته الشعرية ويعززها، وكذلك لجأ لأسلوب الاستفهام ليستعطف المخاطب.

ويقول في ختام مقطعه أخرى كتبها الى السراج الوراق يعاتبه فيها عتباً جميلاً: [٤١](الرجز)

مَا لِي أرَاكَ قاطِعاً لِوَاصِـــــــــــــــــــــــلٍ وَمُعْرِضاً عن مُقْبِلٍ مَا أعْرَضَا؟

بعد أن يبدأ بوصفه ومناداته بذكر صفاته الحميدة والجميلة ثم في آخر بيت من المقطعة يناديه معاتباً إياه طالباً وصله ومما زاد مقطعته جمالاً جعل خاتمتها استفهامية.

وهناك العديد من نصوصه الشعرية جاءت استفهاماً تقريرياً لينتزع الاجابة من المتلقي يؤيد به صحة موقفه ويعطي بعداً للمتلقي في مشاركته تجربته وأحاسيسه قوله: [٤٢](الخفيف)

ما الذي أقْتَنِيْهِ مِن عَرَضٍ يَفْـــــنَى إذَا كان جَوهَـــــــــــرِي ليس يَبْقَى.

والجواب الذي يعرفه ويتوقعه من المتلقي لا شيء، وكذلك مقطعته:[٤٣] (البسيط)

وَمَن أَحقُّ بها منّـــــــــــــــي يُقَبِّلُهـــــــــــــا وهلْ سِوَى حَسَنٍ أولى بِكفِّ علي؟

كذلك قوله في مقطعة قالها في الحكمة وجعل نهايتها استفهامية:[٤٤](مجزوء الرمل)

لا تَثِـــــــــــــــــــــقْ مِـــــنْ آدَمِـــــــي فـــــي وِدَادٍ وَصَـــــــفَـــــــــــــــاءِ.

كيفَ ترجُو مِنهُ صَفواً وَهُوَ مِنْ طِيـــــنٍ وَمَاءِ.

٢- الخاتمة الدعائية:

نجد أن ابن النقيب أكثر ما يختم قصائده التي قالها في غرض المديح بالدعاء وقد تكون خواتيمه الدعائية بيتاً واحداً أو أكثر من ذلك.

ومن ذلك قوله:[٤٥] (الكامل)

واللهُ يُبقِيهِ ويرحمُ مَنْ مَضَى لِسَبيلِهِ، وهوَ السَّبِيلُ الأَمْثَلُ.

وله قصيد في رثاء الملك الظاهر بيبرس يختمها بقوله :[٤٦] (البسيط)

واستجلبَ الدّعواتِ الصالحاتِ لَهُ وَبالثَّناءِ عليهِ استنطقَ الشُّعَرَا

فاللهُ يعفُــو ، ويرضى عن مُخَلِّفِــهِ وأَنْ يُطِــيْلَ لهُ مِن بَعدِهِ العُمُرَا

اللـــهُ يَجـــعلُ مـــن أولادِهِ

أبـــداً مُسْـــتَخْلِفَـــاً قائِماً

فينـــا وَمُنتَظَرَا.

نجد الشاعر قد دعا الى الملك الصالح بيبرس ولأولاده في ختام قصيدته لأن وقع الدعاء في غرض الرثاء يكون أقرب للنفس وأريح للسامع ويبعث الطمأنينة في النفوس وأريحية، وطريقاً سهلاً لتقرب الشاعر من عائلة المرثي وينال رضاهم ومحبتهم.

كذلك له قصيدة يهنئ الظاهر بيبرس بعد وقعت الفرات يختمها بالدعاء بقوله:[٤٧](الوافر)

وكانَ اللهُ للإسلامِ عوناً وكانَ اللهُ للسُّلطانِ جَارا

وله قصيدة كتبها للملك الناصر بعد عودته يختمها بقوله: [٤٨] (الخفيف)

زَادَكَ اللهُ يا محمَّد في المُلْـــ ـــكِ اقتداراً، وفي الحياةِ امْتِدادا

ولا شك أن الختام بالدعاء مريحاً للشاعر؛ حيث يشعر المسلم بطمأنينة التسليم لأمر الله، والاتكاء الى ركن قوي، والدعاء جاء مناسباً لأكثر مواقف الشاعر ومتمماً لها. ويكون الختام بالدعاء عيباً حين يحار الشاعر بما يختم النص، فيلجأ اليه لجواءً اضطرارياً، مقحما على التجربة وهذا النوع من الخواتيم ما كرهه حذاق الشعراء كما ذكر أبن رشيق القيرواني في كتاب العمدة.[٤٩]

٣- تحديد موقف الشاعر في تجربته الشعرية:

نجد الشاعر يختم العديد من قصائده ومقطعاته الشعرية وهو يحدد موقفه من القضية التي يطرحها أو يعالجها فتارة يختم نصوصه الشعرية بخاتمة ايجابية، وتارة يختمها بخاتمة تفاؤلية، وقد تكون تشاؤمية أو سلبية.

ومن خواتيمه الايجابية قوله في مقطعته :[٥٠](الخفيف)

أنتّ كالشَّافعي إذ ْ حَلَّ مِصْرّا فَهوَ فِيهَا علماً وأن فات عصرا

قد رأيناك مذ قدمـــــــــــت علينـــــــــــا

وسمعنـــــــــاه بعـــــــــد ما حـــــــــل قبـــــــــــــــرا

وارتضينـــــــــــــــــاك مالكـــــــــــــــــا وإمامـــــا

فامض فينا الأحكام نهيا وأمـــــــــــــرا

ليبين في خاتمة مقطعته مدى رضاهم وفرحهم بقدومه كلهم اذان صاغية لما يأمر وينهى،

وله مقطعته يقول فيها: [٥١] (المتقارب)

لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحســـــــــــــــــــن فيما قضى

يختم مقطعته بحسن الظن باللّه تعالى والتسليم لأمره واحسانه وعفوه.

ومن خواتيمه الايجابية وامتثاله لأوامر الله (ﷻ) وحسن الظن باللّه سبحانه وتعالى قوله:[٥٢](المنسرح)

والله يعفي عن المسيء إذا ما مات عن توبة ويرحمه

ومن نصوصه الشعرية التي تكون خاتمتها سلبية أو تشاؤمية قوله في ختام نص شعري قاله خوفاً من الوشاة والرقباء من التصريح باسم محبوبته ويختمه بقوله :[٥٣] (الكامل)

ولقد أخاف الهمزة في وصل لهم فأميل للإدغام والاخفاء

ويقول في ختام قصيدة قصيرة يصف حاله كيف يقوده الحب إلى الهلاك وهو لا حول ولا قوة حيال هذا، وما يلاقيه من ألم الحب والفراق يختمها بقوله: [٥٤](الخفيف)

ليس من يشهد القتال بعينيـــــــــــــــ ـــه كمن يلتقي طعاناً وضربا

ويح صب يسوقه الحب للمو ت ، فينقاد ، وهو لا يتأبـــــــى

وقوله في ختام نص يتمنى فيه وصل حبيبته قوله: [٥٥] (مجزوء الرمل)

اه لو أسعد بالوصل اخا عشق وأســـــــــــــعف

فسلوي ماجرا قـــــــــــــط ط، ودمعي ما توقف

فيصف حاله فيتمنى وصل محبوبته لتسعفه من حالة الضياع والألم التي يعيشها ودموعه التي تذرف ولم يتوقف عن البكاء لفراقها.

ومن خواتيمه التي نلمس فيها شيئاً من التفاؤل أو المواساة لنفسه ختامه لقصيدة طويلة قالها

يشكو فيها حاله وحال جنود معه بعد كبر سنهم وأصبحوا لا حاجة لهم فيشكو حاله وحال أقرانه، ويصف حالهم بعد أن كانوا هم في المقدمة صاروا يُراد التخلص منهم، وبعد أن يعرض مأساته وأصحابه وحالة الضعف واليأس والألم التي مروا بها إلا إنه لم يختم قصيدته بالاستسلام واليأس بل مضى يفخر بنسبه وبقبيلته كنانة والتي منها أحمد المصطفى النبي الهادي (ﷺ) يقول في ختامها: [٥٦](الخفيف)

وَ قَبيلِي كِنَانَةٌ ، وَهِي منها أَحمَدُ المُصْطَفَى النَّبِيُّ الهَادِي

وقوله في قصيدة يصف فراق أحبابه وما فعله به فراقهم فبفراقهم فارق طِيب الحياة، وأصبح لا يطمع في العيش في دنياه، ويفضل الموت على حياته ببعدهم فيقول في نهاية قصيدته وكأنه يخاطب محبوبته: [٥٧](الكامل)

إنْ لَم تَعودوا لِلدِّيارِ وَترجِعُوا سَأَمُوتُ مِنْ شَوقِي وفَرْطِ تَوَجُّعِي

ولم يستسلم لمواجعه وفرط شوقه وتوجعه بل يذهب ليواسي حاله ويتفاءل برجوعهم إليه، وبعودتهم يقر قلبه وتنام عينه التي لم تذق طعم النوم بعد فراقهم يقول: [٥٨](الكامل)

أتُرى يَعُودُ الدَّهرُ يَجمَعُ بينَنَا وَيلذُّ طِيْبُ حَدِيْثِكُمْ في مَسمعِي؟
وَيَقرُّ قَلبٌ قَد أُطِيلَ خُفُوقُـــــــــــــــهُ وَتَنَامُ عَيْنٌ بَعدَكُـــــــــــــــمْ
لَمْ تَهجَـــــــــــــــــــعِ؟

٤- **الحكمة:**

عدّ النقاد القدماء ختام النصوص الشعرية بالحكمة، أو مثلاً سائراً من الخواتيم الجيدة، ونرى إن شاعرنا قد ختم العديد من نصوصه الشعرية بالحكمة، ومن أبرز سمات الحكمة الجيدة موجزة سهلة الألفاظ، بعيدة عن التكلف، صادقة ومؤثرة، صادرة عن اقتناع حقيقي لصاحبها بها، وإلا كانت حكمة فاترة غير مؤثرة.[٥٩]

ومِنهَا : [٦٠] (الطويل)

فَكُلُّ غَنِيٍّ أتعَبَ النَّفْسَ جَاهِدَا فَمَا هُوَ إلَّا وَالأجِيرُ سَـــــــــــــــوَاءُ

وقوله الشاعر:[٦١](مجزوء الكامل)

فَالطَّـــــــــــــيرُ أحســـــــــــــنُ مَا يُغَـــــــ
ـــــــــــــــــــرِّدُ عِندَمَا يَقَـــــــــــعُ النَّـــــــــدى

قوله:[٦٢](الخفيف)

ما الذي أقتنيه من عرض يفـــــــــــــــــــــــــــــنى إذا
كان جوهري ليس يبقى

ونجد أن الشاعر قد وفق في خواتيم نصوصه الشعرية أكثر منها في مقدماته فلم يخرج عن مضمون النص، بل جاءت خواتيمه مكملة للمعنى متممه له، فلم نجد قطع أو بتر في نصوصه أو لا يعلم القارئ نهايتها، ففي مواضع جاءت خواتيمه مرتبطة بمقدمات نصوصه، وجعل بعضها اقتباساً من آي الذكر الحكيم وهو خير ما يُختتم به، ولا نجده يميل للخواتيم الدعائية إلا في مواضعها في المديح أو الرثاء

وهو ما يتلاءم مع هذه الأغراض، كذلك نجده يختم كل غرض بما يلائمه، وما تتطلبه التجربة.

ثالثاً: الطول والقصر

شغلت قضية الطول والقصر في الأعمال الأدبية بأنواعها النقاد القدامى، وأعاروها اهتماماً بالغاً. (٦٣)

قال (ابن رشيق القيرواني): ((وقيل إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة .... ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد)) (٦٤).

وينقسم النقاد وما أُثر عن شعرائنا القدماء إلى قسمين مؤيد ومعارض لمسألة الطول والقصر حسب اتجاهاتهم.

فمن النقاد من يعيب المقطعات ويعللون ذلك بسبب ضعف الشاعر عن توليد المعاني (٦٥)، ومن النقاد من يرى أن القصيدة الطويلة هي رؤية شعرية تلخص موقفاً شمولياً إزاء الكون والحياة بكل مفرداتها وظواهرها المتسقة أو المتصارعة؛ ولأجل هذه المعطيات أصبحت القصيدة الطويلة هي المجال الأرحب والخصب لنقل التجربة الشعرية (٦٦).

ويرى (عز الدين اسماعيل) إن مجرد الطول لا يجعل من العمل الأدبي عملاً ضخماً، فالفرق بين القصيدة القصيرة والطويلة فرق في الجوهر أكثر منه في الطول، ويكون التعقيد عنصراً يلزم العمل الشعري الضخم أو القصيدة الطويلة، أما البساطة والتحديد في العاطفة من طبيعة القصائد الغنائية. (٦٧)

فليس هناك أساس في تحديد القصيدة طويلة أو قصيرة إلا من خلال التجربة الشعرية؛ لإن من المعلوم إن كل تجربة شعرية تعبر عن موضوع أو فكرة معينة، وهي تتحكم في طول القصيدة، أو بمعنى آخر اتساق الثوب الشعري مع التجربة وتفصيله على قدرها، فلا يكون طويلاً فضفاضاً ولا قصيراً معرياً. (٦٨)

وإني لاتفق مع رأي الأستاذ (يوسف بكار) فإن للتجربة الشعرية دوراً كبيراً في طول النص وقصره.

من خلال الاطلاع على ديوان (ابن النقيب الفقيسي) نجد إن المقطعات الشعرية كثيرة جداً في شعره، أما القصائد فكانت معدودة.

فتوزع شعره ما بين أبيات مفردة ومقطعات وقصائد، ونجد إن للمقطعات حضور بارز في ديوانه، والذي بلغ عددها (٣١٧) مقطوعة شعرية، والتي كانت أقل من سبعة أبيات.

ونلاحظ كثرة المقطعات الثنائية في ديوانه والتي بلغ عددها (٢١٥) مقطعة، وتليها المقطعات الثلاثية والتي بلغ عددها (٥٩) مقطعة.

ونجد إن المقطعات التي تكونت من أربعة أبيات بلغ عدها (١٦) مقطعة، أما المقطعات

التي تكونت من خمسة أبيات فكان عددها (٩) مقطعات فقط، والمقطعات التي تكونت من ستة أبيات وسبعة أبيات فبلغ عدد كل منهما (٧) مقطعات.

وبلغ عدد قصائده القصيرة والمتوسطة الطول، التي يتراوح عدد أبياتها من (٧-٣٥) بيت (٤٠) قصيدة .

واحتوى ديوانه على ثلاث قصائد طوال فقط تكونت من:(٧٠) بيتاً، و(٦٥) بيتاً، و(٥٧) بيتاً.

فنجد للمقطعات حضورا بارزا في ديوان ابن النقيب الفقيسي، وهي الشكل الغالب على ديوانه.

فإن عدد المقطعات الشعرية – دون االسبعة أبيات- في ديوان ابن النقيب الفقيسي أكثر من عدد القصائد الطويلة والقصيرة.، فكانت مقطعاته نابعة عن تجربة محدودة، فهي كاللمحة الدالة، فلا تحتاج الى نفس طويل وجهد كبير، فأكثر ما تكون ابنة لحظتها بعيدا عن سرد التفاصيل، وقد تكون نابعة عن تجربة شخصية .[٦٩]

كما ان بعض التجارب الشعرية يكفيها البيتان والثلاثة أبيات، ونجد هذا كثير في ديوان ابن النقيب الفقيسي ومن ذلك قوله: [٧٠](الكامل)

ما لي أرى الدُّنيَا تَغَيّرَ كُلُّ مَا فيها ، فَلا شَيءٌ على أوضَاعِهِ.

كَسَدَ المدِيحْ، فَمَا له مِن طالبٍ حتّى وَلا متصَـــدِّق
بســـــماعِـــــــــــــــــــــــــهِ.

في هذه التجربة الشعرية المحدودة يشكو تغير حال الناس في الدنيا، كونهم لم يتفاعلوا مع المديح ولا يتصدقوا لسماعه

وقول الشاعر: [٧١](الوافر)

رَمَيتَ بِمُهجَتِي جَمَرَاتِ شَوقِي وَلَم تأخُذْكَ بالمُشـــــــتَاقِ
رأفـــــــــــــــــهْ.

فَهَــرْوَلَ دَمْــعُ عَيني فوقَ خَدِّي وَما حَصلَتْ لهُ مَعْ ذاكَ وَقْفَهْ.

يصور الشاعر حزنه ودموعه التي تذرف فوق خده لشدة ألمه، وشوقه لمن يحب.

وفي مقطعة كتبها إلى (كمال الدين بن العطّار) يقول فيها:[٧٢](مخلع البسيط)

لا تعذلوا مَنْ بكـــــــــــــى لِبَيْنٍ وبـــــدل
الدمـــــــــــــــــــــــــــــــع بالدِّمَـــــــــاءِ.
إنَّ فُراقَ الكَمَـــــــــــالِ صَعْبٌ حتَّى على البَدرِ فِي السَّمَاءِ.

يبكي الشاعر فراق صديقه كمال الدين العطار، فليس فراقه بالهيّن عليه، فهو يفتقد وجوده كما تفتقد السماء لكمال البدر.

أما مقطعاته التي تتكون من ثلاثة أبيات قوله: [٧٣](الطويل)

تَكَفَّفتُ بالرِّزقِ اليَسِيرِ صِيانةً لِوَجهِي،وَذَاكَ الرِّزقُ دونَ كفافـــــــي
فقالوا: سَـــــــــعيدٌ في غِنًى وكِفَايَةٍ وإنـــي بِمَـــــــــــا
قَالـــــــوا بِغَـــيرِ خِـلَافِ
وما ثـــــــــــــــــــمَّ إلا إنَّنـــــي بِقَنَاعَـتِـــــي
غَنِـــيٌّ ، وإنِّـــــــــــــي مُكتَـفٍ بِعفـافِـــــــي

يتحدث الشاعر عن اكتفائه بالرزق اليسير دوق اراقه ماء وجهه، فهو غني مكتفٍ بقناعته

ومن ذلك قوله: [٧٤](السريع)

عِندي على حبِّكَ ليْ شَاهِدٌ وذاكَ قَلبِي ، وَهُو لايَكذِبُ
وأنتَ – يا ساكِنُهُ – عَالِمٌ بِكُلِّ مَايَمـلِـــــــــــــــي
ومَـــــــــــــا يَكْتُـــــــــبُ

وقوله: [٧٥](المنسرح)

كنتُ صديْقاً ، فصِرْتُ مَعرِفَةً ولَيْتَنِـــــــــي لَـو بقيْـــتُ
مَعـــــــروفَـــــاً
قد نُكِّرتْ بالجَفـــــــــــــــاءِ مَـعرفتِـــــــي فَعُدتُ عَمَّا عَهِدْتُ
مَصرُوفَاً

كما جاءت مقطعاته في أغراض متعددة: شكوى، حكمة، فراق، ذم، غزل، ألم ..... أما مقطعاته الرباعية والتي تكونت من أربعة أبيات كذلك جاءت في أغراض مختلفة مع التزامه الإيجاز، والابتعاد عن الحشو، ومن ذلك قوله في مقطعة كتبها الى السراج الوراق يمدحه فيها : [٧٦](الوافر)

لَلَفظُكَ فَرحَةُ النفسِ الحَزينَهْ ووجهُكَ قُرَّةُ العَين السَّخينَهْ
ونَظْمُـــكَ لايُجَارِيـــْهِ نِظـــــــــــــــــامٌ وَنثـرُكَ
لاتُقَـــاسُ بـــهِ قَرينَـــــــــــــــهْ
وأمَّا ما أشَـــــــــــــرتَ لهُ بِخَطِّـــــي فَكُلُّ يدٍ بِمَا كَسَـــبَتْ
رَهينَـــــــــهْ
ولكنِّي أُسَـــــــــــــــــيِّرُهُ
لِحُـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرٍّ عَرَفتُ وَفَاءَهُ
وعلمتُ دِينَـــــــــهْ

كتب ابن النقيب هذه المقطعة إلى صديقه السراج الوراق يمدحه ويثني عليه فيصف لفظه فرحة للنفس الحزينة، ووجهه قرة للعين، ونظمه لا يجازيه نظام، ونثره لا يقارن بغيره، وما عُرف به من وفاء وخلق ودين.

كذلك هي الحال في مقطعاته المتكونة من خمسة أبيات أو ستة أبيات وسبعة أبيات فجاءت يصف فيها حاله، أو موقفاً معيناً محدودا يعمد الى التكثيف والإيحاء فيها بعيداً عن سرد التفاصيل ومن ذلك قوله: [٧٧](المتقارب)

أَيَا كَرْمَ فَاضِـــــــلِ هـــــذا الزَّمَـــــــــانِ سِرَاجِ المُلُوكِ الفَتَـــى الكَامِـــــــلِ

ويا عِنَبَـــاً مِنـــــــــهُ مـــــا جاءَنِـــــــــــــــي وَقَالَ: سَـــــــــــــآتِيْـــكَ فِـــــــي قَابِـــــــــــــــــلِ

لأَنْتَ أحـــــــــــــــــــقُّ بأنْ لا يُقَـــــــــــــــالَ سِـــوَى فِيكَ: يَا عِنَبَ الفَاضِـــــلِ

وما زِلْتَ مِنـــــيَ دانِي القُطوفِ أُرَضِّـــــــــــــــعُ مِـــــــــــنْ دَرَّكَ الحَافِـــــــــــلِ

وَإِنْ كنتَ زَبَّبْتَ فوقَ العريشِ فلا تأتِنا، وابْقَ في الحَاصِلِ

كتب هذه الأبيات الى السراج الوراق؛ لأنه كان يهدي إليه عنباً إلا إنه تأخر عليه فكتب اليه هذه المقطعة مطالباً ومعاتباً إياه.

وقوله في مقطعة جميلة متكونة من سبعة أبيات يشكو فيها ألم الفراق، وصدود الحبيبة عنه، ووصف جمالها، وحسنها بألفاظ عذبه واضحة بعيدة عن كد الذهن والغموض: [٧٨](الكامل)

صَـــــــــــــــــــدّتْ وَعَلَّمَتِ الصُّـــــــــــدودَ خَيالهـــــــا فَحُرِمتُ

حتّى فِي المَنامِ خَيالَها

ما زَالَ وَاشِـــــــــــــــــيهَا بِـــــــــــــــــزُوْرِ

حَدِيْثِـــــــــــــــــــــــــــــــــــــهِ فَأصـــــــدَّهَا عَنْ عَهدِهَا

وأحَالَهَـــــــــــا

وسَـــــعَى فَغَيَّرَهَا، وَغَيَّـــرَ فـــــــــي الـــهَـــــــــــــــــــوى

أخلاقَهـــــا وَطِباعَهَـــــــــا وَخِلَالَهَـــــــــــــــا

حَسناءُ صوَّرها الجَمالُ كَما اشتهَتْ وكذاكَ بلَّغَهَـــا الهَـــــــــــــــوَى

وأَنَالَهَـــــــــــــا

خَلِّ البُـــــــــــــــــدورِ إذا ذَكَـــــــــــــــــــــــرتَ حَديثَهَـــــــــا

مَا لِلْبُـــدُورِ مِنَ الجَمَالِ كَمَـــــــــا لَهَـــا

فـــــــــــــــي الجفـــــنِ منهَـــــــــــــــــــــــا حانـــــــةٌ

وَكِنَانـــــــةٌ وانظُـــــــــــــــــرْ تَجِـــــــــــــــــدْ

نَبَّاذَهَـــــــــــــــا نَبَّالهَـــــا

رَشَـــــــئِيَّةُ الألحـــــاظِ تُشـــــبِـــــــــــــــــهُ

رَهطَهَـــــــــــــــــــــــا مِسْـــــكِيَّةُ الأنفاسِ

تُشْـــبِـــــــــــــــــــــــــهُ خَالَهَا.

فجاءت أكثر مقطعاته الشعرية فطرية دون تأمل، أو كد فكري، وأكثرها كتبت ارتجالاً نتيجة موقف مباشر، أو حدث معين، أو رُبما يَصف حاله، فكانت أكثر مقطعاته عفوية الخاطر.

أما قصائده القصيرة والمتوسطة الطول، والتي لا يتجاوز عدد أبياتها(٣٥بيتاً) بلغ مجموعها (٤٠)قصيدة، وهو عدد قليل بالنسبة لعدد مقطعاته، وكانت قصائده الطويلة قليلة جداً، ومجموعها ثلاث قصائد فقط: كانت في الشكوى، الرثاء، والمديح.

ولا نجد شاعرنا حريصاً على الإطالة، فنصوصه الشعرية تنتهي متى انتهت تجربته.

رابعاً: الوحدة الموضوعية

تُعد قضية الوحدة الموضوعية من القضايا النقدية المهمة في الشعر العربي، التي اهتم بها النقد الحديث.

والمراد بالوحدة العضوية في النقد الحديث ((وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي الى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على ان تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها الى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر))[٧٩]، فتمثلت الوحدة العضوية بوحدة الموضوع ووحدة المشاعر فضلاً عن ترتيب الصور والأفكار مشبهين القصيدة كأعضاء الجسم الواحد.

ونجد الوحدة الموضوعية حاضرة كثيرا عند ابن النقيب الفقيسي، وخاصة في قصائده القصيرة ومقطعاته الشعرية ومن ذلك قصيدته الى السراج الوراق وهو أرمد فتحدث فيها عن رمد أصاب عين السراج ويدعو له بالشفاء وأن يبعد الله عنه هذا المرض يقول فيها:[٨٠](مجزوء الرجز)

يَامَن تَشَـــكّى رَمَـــداً لا امتَدَّ لِلشَّـــكوى مَـــــــدَى.

وَاللهِ يَكفِي عينَكَ الـــــ ـــعينَ وأســـــبابَ الـــــــــــرَّدَى

فَإنَّهَا عينُ السِّـــــــــرا جِ، لا انْطَفَا عَنِ الهُدَى.

وله قصيدة نبوية في مدح رسول الله (عليه الصلاة والسلام) جاءت في عشرة أبيات بدؤها بالمديح واختتمها به لا يخرج عن المديح فيها فتوفرت الوحدة الموضوعية للقصيدة، يقول فيها: (٨١)

رَسُـــــــــــولُ شَـــوقِي إِليك مَائِل يَشْكُو هَوًى جَلَّ عَن مُمَاثِلْ

وَمخبـــرُ الدّمـــع عـــــــــن غَرامِي أَصدَقُ ما كانَ وهو سَـــــائِل

يامطلبَ الحُسْن آهٍ ، مَنْ لِي لو كُنتُ يَومـــاً إلَيكَ وَاصِـــلْ.

اما المقطعات الشعرية والتي تتكون من بيتين وهي أبسط أنواع المقطوعة الشعرية؛ كونها ذات طبيعة أولية بمعنى أن الابيات الداخلة فيها متعادلة القيمة من الناحية البنائية، ولا تنتظم في

درج الترقي طبقاً لقيمتها. (٨٢)

أما قصائده الطوال فلا نجد أثراً للوحدة الموضوعية وتعدد موضوعاتها وفقدان ترابطها الفني بسبب طولها، ونجده يدخل بعض الحشو في قصائده مما يؤدي الى تهلهل بناء قصيدته وتمزق وحدتها، فنلاحظ في أطول قصيدة له التي مدح فيها الملك قلاوون حيث أفتتحها بالفرح والابتهاج بانتصار الملك على المغول، ثم ينتقل الى وصف شجاعة الملك قلاوون وما فعله بأعدائه وتمكنه منهم ووصف هزيمتهم ويحمد الله على نصرت الإسلام قائلاً: (٨٣) (الطويل)

هِيَ النِّعمَةُ العُظمَى، هِيَ النّصرةُ الكُبرَى هي اللفظُ والمعنى، هيَ البِشْرُ والبشْرَى

هيَ المطلــبُ الأســـنى، هي المنحـــــةُ التي لقد شَـــــرُفَتْ
قَـــــــــــــدرا، وقـــــــــد عَظُـمَـــتْ ذِكْـــــــــــــــــرَا.

ثم يذهب لتحذير أعدائه من قوة الملك من ضرب أعناقهم قهراً، ويبدأ بمدح الملك، وتعديد صفاته، ووصف شجاعته قوله: [٨٤](الطويل)

فَقُلْ لِـرُؤُوسِ المُغْـــلِ إنَّ قَلَاوِنـــاً هو السَّيفُ ضَرّاباً لِأعنَاقِكُمْ قَهْـــرَا
هوَ المَلكُ المنصُـورُ، واللهُ خـاذِلٌ أَعَادِيَهُ خُذلاناً ، ونَاصِـرُهُ نَصْـــرَا
هو المُقدِمُ الكرارُفي حومةِ الوَغَى إذا أحجمَ الأبطالُ وامتَلَؤُوا ذُعرَا.

ووصف جيشه العرمرم ولكثرته لا يعد ولا يحصى، فمن يرى جيشه يتخيل أن الناس قد حشرت ليوم القيامة، وبعد الانتهاء من وصف هذا الجيش يرجع لتكملة ما جاء به من تحذير وتخويف وتذكيرهم بخسائرهم المتعددة وهزيمتهم.

وقد تكون لشخصية الشاعر أثراً في وحدة الموضوع حيث يظهر ذلك في قصيدة كتبها الى مظفر الدين الذهبي معتذراً فيها عن عدم تمكنه من زيارته قوله: [٨٥](الخفيف)

مَنَعَتْنِي مِنْ أن أَرَاكَ خُيُـــــــــــــــولُ ضاقَ صَدرِيْ بها وضاقَ السَّبِيلُ
هـــي مابيننا تَجُـولُ، ومَـــــــــــــــا يُنْـــ ـكَرُ تَصْحِيفُ مَنْ يَقُـــولُ: تَحـــــــــوْلُ
مَنْظَرٌ- مثلَمَا رأيتُ – مَرُوعٌ وَسَـــمَاعٌ – كَمَا سَمِعْتَ – مَهُـــــــــــوْلُ
مِقْنِبٌ خَلْـــفَ مِقْنَـــبٍ مُتَـــــــــــــــــــــــــوَالٍ
وَرَعِيْـــــلٌ يَقْفُـــــــــــــــوهُ، ثَـــــــــــمَّ رَعِيْـــــــــــلُ.

يصف حاله وما جرى له منعه من عدم زيارته بسبب زحمة وتدافع في السوق بأسلوب واضح سهل لا غرابه في الفاظه بل جعل الفاظه متجانسة متوائمة مع تجربته بأسلوب مؤثر وسرد الأحداث متسلسلة، ولم يخرج عن موضوع قصيدته ولا يطيل فيها، فكان لشخصية ابن النقيب حضورا واضحا ومؤثرا في هذه القصيدة.

كذلك دقة اختياره الألفاظ التي تتناسب مع تجربته مما يؤصل الوحدة الموضوعية في قصيدته ويعطيها رونقاً وجمالاً.

الخاتمة

عند دراسة البناء الفني لابن النقيب الفقيسي

- فلا نجد تميزاً في مطالع نصوصه الشعرية إلا ما ندر فلا نجد فرقاً بين المطلع وسائر أبيات النص، فلا يهتم الشاعر لجمالية المطلع.
- أما خواتيمه الشعرية فقد وفق فيها أكثر منها في مقدماته، فجاءت خواتيمه مكملة للمعنى متممة له، فنجده يختم كل غرض بما يلائمه.
- وكذلك لا نجده حريصاً على الاطالة في نصوصه الشعرية، وميلة إلى نظم المقطعات الشعرية، فالنص الشعري عنده ينتهي متى انتهت تجربته الشعرية.
- أما الوحدة الوضوعية فقد كانت حاضرة كثيراً في شعر الفقيسي، وخاصة في قصائده القصيرة ومقطعاته الشعرية، أما قصائده الطوال فلا نجد أثراً للوحدة الموضوعية.

الهوامش

(١) لسان العرب، ابن منظور الانصاري، دار صادر ـــ بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ـــ، مادة (بنى)، ٩٤/١٤.

(٢) بنية القصيدة العربية في الجاهلية والإسلام، فورار محمد (أطروحة دكتوراه)، جامعة منتوري_ قسنطينة، ١٤٢٦ه ـــــــــــ ٢٠٠٦م، ٢٦.

(٣) بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)، يوسف حسين بكار، دار الاندلس – بيروت، لبنان، د ط، ١٩٨٢م، ٢٦.

(٤) ينظر: دلائل الاعجاز، تأليف الشيخ الإمام ابي بكر، عبد النحوي ت(٤٧١ه)، قرأه وعلق عليه ابو القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني فهر محمود محمد شاكر،٥١.

(٥) بنية القصيدة العربية، ٢٨.

(٦) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ت (٣٩٥ه)، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٢م، ٤٣١.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، ٤٣٥.

(٨) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي الحسن بن رشيق القيرواني، الازدي، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م، ١/ ٢١٨.

(٩) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعه أبي الحسن حازم القرطاجني، الدار العربية للكتاب، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة –تونس، ط٣، ٢٠٠٨م، ٢٧٩.

(١٠) كتاب الصناعتين، ٤٣٧.

(١١) ينظر: بناء القصيدة العربية، ٢١٧.

(١٢) ديوانه، ١٢٦.

(١٣) المصدر نفسه، ١٣٤.

(١٤) المصدر نفسه، ٢٠٠.

(١٥) المصدر نفسه، ١١٢.

(١٦) المصدر نفسه، ١١٨.

(١٧) المصدر نفسه، ١٦٢.

(١٨) المصدر نفسه، ٢١٥.

(١٩) المصدر نفسه،٢٠٢.

(٢٠) المصدر نفسه، ١٩٦.

(٢١) المصدر نفسه، ٦٨.

(٢٢) المصدر نفسه، ٧٦.

(٢٣) المصدر نفسه،١٠٣.

(٢٤) المصدر نفسه،١١١.

(٢٥) المصدر نفسه، ٧١.

(٢٦) المصدر نفسه، ٢٢٥.

(٢٧) المصدر نفسه، ٨٥.

(٢٨) العمدة، ٢٤٠/١.

(٢٩) المصدر نفسه، ٢٤١/١.

(٣٠) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الادباء، أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: د. محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، ط٣، ٢٠٠٨ م،٢٧٦.

(٣١) ينظر: كتاب الصناعتين، ٤٤٣ــــــــــــــ ٤٤٤.

(٣٢) ينظر: البناء الفني في شعر عمر بهاء الدين الأميري، د. خالد بن سعود الحليبي، نادي الإحساء الأدبي: ١٤٣٠ه، ط١، ١٤٣٠ه ــــــــــــ ٢٠٠٩م، ٨٠.

(٣٣) ينظر: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، مصطفى سويف، دار المعارف، ط٤، ١٩٨١م،٣٠٥-٣٠٦.

(٣٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.ط، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م: ٣٢٦-٣٢٩.

(٣٥) ديوانه، ٧٠.

(٣٦) المصدر نفسه، ٨٥.

(٣٧) المصدر نفسه، ١٢٠.

(٣٨) المصدر نفسه، ٢٠٣.

(٣٩) المصدر نفسه، ١٦٩.

(٤٠) المصدر نفسه، ٩١.

(٤١) المصدر نفسه، ١٥٥.

(٤٢) المصدر نفسه، ١٧٥.

(٤٣) المصدر نفسه، ٢٠٩.

(٤٤) المصدر نفسه، ٧٣.

(٤٥) المصدر نفسه، ١٩٩.

(٤٦) المصدر نفسه، ١٢٥.

(٤٧) المصدر نفسه، ١٣٥.

(٤٨) المصدر نفسه،١٠٧.

(٤٩) ينظر: العمدة، ٢٤١/١.

(٥٠) ديوانه، ١٣٧.

(٥١) المصدر نفسه، ١٨٤.

(٥٢) المصدر نفسه، ٢٢٨.

(٥٣) المصدر نفسه، ٧٠.

(٥٤) المصدر نفسه، ٧٩.

(٥٥) المصدر نفسه، ١٦٦.

(٥٦) المصدر نفسه، ١١٧.

(٥٧) المصدر نفسه، ١٦١.

(٥٨) المصدر نفسه ،١٦١.

(٥٩) ينظر: الحكمة في شعر أبي البقاء الرُّندي، نوف بنت محمد علي يماني، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦-١٤٣٧ه، ١٧.

(٦٠) ديوانه، ٦٧.

(٦١) المصدر نفسه، ١٠٤.

(٦٢) المصدر نفسه ،١٤٥.

(٦٣) ينظر بناء القصيدة ، ٢٤٠

(٦٤) منهاج البلغاء ،٣٢٤.

(٦٥) ينظر: البناء الفني في شعر عمر أبو ريشة، محمد خالد عواد الحيصة، (رسالة ماجستير)، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم ،٢٠١٠-٢٠١١م:٥٣.

(٦٦) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي ـــــــــــــ القاهرة، د.ط ، ٣٠٣-٣٠٤.

(٦٧) ينظر: بناء القصيدة، ٢٥٦.

(٦٨) ينظر: البناء الفني في شعر عمر بهاء الدين الأميري ،٩٦.

(٦٩) ينظر: ديوانه، ٣٥.

(٧٠) المصدر نفسه، ١٦٥.

(٧١) المصدر نفسه، ١٧٢.

(٧٢) المصدر نفسه، ٦٩.

(٧٣) المصدر نفسه، ١٦٩.

(٧٤) المصدر نفسه، ٨٣.

(٧٥) المصدر نفسه، ١٦٧.

(٧٦) المصدر نفسه، ٢٣٨.

(٧٧) المصدر نفسه، ٢٠٧.

(٧٨) المصدر نفسه، ٢١٥.

(٧٩) ينظر: النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة، مصر_القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م، ٣٧٣.

(٨٠) ديوانه، ١٠٣.

(٨١) المصدر نفسه،١٩١.

(٨٢) ينظر: تحليل النص الشعري (بنية القصيدة)، د. محمد فتوح أحمد، دار المعارف مصر، د.ط، ١٩٩٥م، ١٣٨.

(٨٣) ديوانه، ١٢٦.

(٨٤) المصدر نفسه،١٢٧.

(٨٥) المصدر نفسه، ١٣٠.